

إضاءات نقدية (مقالة محكمة)  
السنة الثالثة عشرة - العدد التاسع والأربعون - ربيع ١٤٠٢ش / آذار ٢٠٢٣م

ص ١٣٣ - ١٥٢

## دراسة مفهوم الحرية في القصائد الملحمية لمحمود درويش وأحمد شاملو (بالتركيز على آراء جان بول سارتر)

سارا قياسي\*

سيدبابك فرزانه (الكاتب المسؤول)\*\*

عبدالحسين فرزاد\*\*\*

سيدابراهيم ديباجي\*\*\*\*

### الملخص

يعتبر مفهوم الحرية من أكثر المفاهيم الشعرية شيوعاً في الشعر الملحمي الحديث والذي أصبح من أهم الموضوعات في حياة الإنسان المعاصر متأثراً بالمدارس الفلسفية وخاصة فلسفة الوجودية. وقد لعب الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر، أحد مؤسسي الفلسفة الوجودية، دوراً مهماً في انتشار الأفكار الوجودية وتركت تأثيراً عميقاً على أفكار الادباء. يعتبر محمود درويش شاعر المقاومة الفلسطينية وأحمد شاملو الشاعر الإيراني المعاصر، من الشعراء البارزين الذين ينعكس مفهوم الحرية على نطاق واسع في قصائدهم، ودراسة أشعارهم تكشف عن بعدها الفلسفي والوجودي. يحاول البحث الحالي مقارنة أفكار درويش وشاملو حول الحرية معتمداً على آراء سارتر وتحليل أوجه التشابه في شعرهما وربما فحص الاختلافات بينهما. وفقاً لنتائج البحث فإن مفهوم الحرية في موقف درويش وشاملو له بعد فلسفي ولا يقتصر على الحرية الفردية بل يشمل المجتمع بأسره. يتماشى مفهوم الحرية في نظريتهما للعالم تماماً مع آراء سارتر كتقدم الوجود على الماهية والخوف وقبول المسؤولية، وإنكار القوى الميتافيزيقية، وعدم استقرار الماهية، والعلاقة بين الموت والحرية.

الكلمات الدليلية: الحرية، سارتر، القصيدة الملحمية، محمود درويش، احمد شاملو.

\*طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم وتحقيقات، جامعة آزاد اسلامية، طهران، إيران

\*\*أستاذ في اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم وتحقيقات، جامعة آزاد اسلامية، طهران، إيران

dr.farzaneh@gmail.com

\*\*\*أستاذ مشارك في اللغة الفارسية وآدابها، معهد الدراسات الإنسانية والثقافية، طهران، إيران

\*\*\*\*أستاذ في اللغة العربية وآدابها، فرع العلوم وتحقيقات، جامعة آزاد اسلامية، طهران، إيران

تاريخ القبول: ١٤٤٤/١٢/٠١ق

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٧/١٠ق

## المقدمة

الشعر الملحمي الحديث هو انعكاس للظروف السياسية والثقافية والاقتصادية التي تحكم المجتمع و يضع الإنسان في مركز الاهتمام. والحرية تعتبر إحدى الموضوعات الرئيسية في هذا الأسلوب الملحمي الحديث التي تستخدمه الشعراء الملتزمون. أدى إمام الشعراء المعاصرين بالمدارس الفلسفية الجديدة إلى تعمق شعرهم دلاليا فعلى القارئ أن يبذل مجهودا أكثر لسبر أغوار النص الشعري وصولا إلى أعماق الفكرة لدى الشاعر. اما الفلسفة الوجودية هي إحدى المدارس الفلسفية الحديثة التي ظهرت في العصر الحديث. و سارتر الذي يعتبر من أبرز الفلاسفة الوجوديين يقسم أتباع هذه الفلسفة إلى فئتين: مسيحي (يعتقد بالله) وملحد (بجحده). فهو يقول: «الوجوديون المسيحيون الذين يكون من ضمنهم جاسبير ومارسيل الكاثوليكين، وهايدجر والوجوديون الفرنسيون أتباع عقيدة الوجودية الإلحادية وأنا من أتباع هذه العقيدة.» (سارتر، ١٩٦٩: ١٥) المفهوم الأكثر وضوحا في رأيه هو الحرية، و«الإنسان في نظره كائن حر يمتلك سلطة غير محدودة ويمكنه ممارسة إرادته على كل شيء في الطبيعة.» (نوالى، ١٣٧٣: ٤٢) وعلى أساس هذه الفكرة يعتبر الإنسان كائنا مبدعا يمكنه أو تكوين حياته حسب رغباته وبعدها دخلت هذه الفكرة إلى عالم الأدب وضع العديد من الأدباء المتأثرين بسارتر مكانا خاصا للإنسان في أعمالهم. فهكذا يشرح الشاعر المعاصر بنظرة إنسانية مفهوم الحرية في القصائد الملحمية ويجعل الإنسان بطل قصته. محمود درويش وأحمد شاملو شاعران حديثان تحكم شعرهما الملحمية وقد امتزجت نزعتهما الملحمية بالأفكار الوجودية. ورغم الفروق في الشخصية الفردية والاجتماعية لهذين الشاعرين تعد الحرية واحدة من أكثر الموضوعات شيوعا في شعرهما فيمكن دراسة تأثرهما بنظريات سارتر الوجودية حول مفهوم الحرية و فحص أوجه التشابه في آرائهما.

## أسئلة البحث

يحاول هذا البحث العثور على إجابات مناسبة لأسئلة منها: كيف وإلى أى مدى

تتشارك أفكار درويش وشاملو مع أفكار سارتر الوجودية حول الحرية؟ ما هو دور المؤثرات عبرالنصية في توافق آراء درويش وشاملو حول المفهوم الوجودي للحرية في قصائدهم الملحمية؟

### فرضيات البحث

- يبدو أن درويش وشاملو متأثران كثيرا بسارتر في معظم أفكارهما الوجودية حول مفهوم الحرية وتوصلا إلى فهم مشترك لمفهوم الحرية.
- يبدو أن نهج شاملو في التعبير عن آراء معينة حول الحرية يكون أكثر صراحة وأقرب إلى آراء سارتر الإلحادية.
  - يبدو أن الاستبداد والقهر واحتلال البلد بيد الأجنبي والظلم الاجتماعي والقمع والفقر الفكري والثقافي والاقتصادي تكون مادة الأفكار الوجودية لكل من درويش وشاملو.

### خلفية البحث

تمت دراسة مفهوم الحرية في شعر درويش وشاملو في مؤلفات عديدة منها: ١- أحمد جوامرمد في رسالة ماجستير بعنوان "دراسة موضوعات الوطن والحرية في قصيدة محمود درويش" (٢٠١٠) وتم ذلك بإشراف الدكتورة فاطمة قادري في جامعة يزد. توصل البحث إلى أن مفهوم الحرية قد تجلى في موضوعات كالنضال والمقاومة، والدعوة إلى الثورة، والأمل في المستقبل، والتضحية من أجل تحرير البلاد. ٢- عباس محمديان ومريم غفاري جاهد، في مقالهما "مفهوم الوطن والحرية في قصائد ملك الشعراء (بهار) ومحمود درويش" (٢٠١٧) استنتجا أن الشغل الشاغل لهذين الشعارين كان إنقاذ الوطن من تسلل الأجنبي واحتلالهم له. ٣. خلص أحمد جوامرمد وفاطمة هيبتي في مقالهما "دراسة مضمون الحرية وتجلياتها في شعر محمود درويش، شاعر المقاومة الفلسطينية" (٢٠١٦)، إلى أن درويش استخدم لغة الرمز للتجنب من الرقابة الإسرائيلية على قصائده ونشر أفكاره عن الحرية في ظروف السجن القاسية. ٤. وقام

أحمد درويش في مقالته "ملامح التجسيد الفني لظاهرة الحرية في شعر محمود درويش" (١٩٩٢) بدراسة دور الوزن والموسيقى في قصائده القومية والتي كتبت عن الحرية. ٥. خلص عبد الحسين فرزاد وزملاؤه في مقالهم "نظرة مقارنة إلى مفهوم الحرية عند أحمد شاملو وأحمد مطر" (٢٠٢٠) إلى أن كلا الشاعرين اعتبرا مهمة الشعر الحرية، لكن لغة مطر أكثر حدة وصرامة من شاملو. ٦. راضيه كارآمد وحسين ميرزائي نيا في مقال بعنوان "مفهوم الحرية في قصائد نزار قباني وأحمد شاملو" (٢٠١٧) توصلا إلى نتيجة مفاده أن شاملو وقباني يدينان الاستبداد ويعتبران الكفاح المسلح أحد سبل تحقيق الحرية.

والمقالات المقارنة بين قصائد درويش وشاملو من ضمنها: ١. فاطمة بجيت وآخرون (٢٠١٣)، سيميائية العنوان في قصيدتي شبكير لأحمد شاملو و ليل يفيض من الجسد لمحمود درويش (دراسة مقارنة) ٢- برويز أحمد زاده هوج وآخرون (٢٠١٧)، دراسة مقارنة لتجليات المقاومة في قصائد شاملو ودرويش. ٣- عيسى زارع درنياني وفاطمة مسعودي زاده (٢٠١٩) دراسة مقارنة للتمثيل في شعر محمود درويش وشاملو. ٤- شيرزاد طايقي ومريم محمد زاده (٢٠١٧) قراءة مقارنة للرمزية الاجتماعية في قصائد أحمد شاملو ومحمود درويش.

والمقالات التي كتبت حول الفلسفة الوجودية في قصائد درويش وشاملو منها: ١. صادق جغتايي وزهرا فدوى في مقال "تحليل أسس أصالة الوجود في شعر وفكر شاملو (مع التركيز على الوعي والحرية والمسؤولية)، درسا انعكاس مفاهيم الوعي والحرية والمسؤولية والإنسانية والموت" وتحدثا فيه عن تأثر الشاعر بالفلاسفة الوجوديين. ٢. فرهاد رجبى في مقاله "تحليل وجودى لشعر شاملو وأدونيس" (الأغاني الصغيرة للغربة وأغاني مهيار الدمشقي أنموذجا) (٢٠١٨)، قام المؤلف بتحليل وجهات النظر الوجودية لشاملو وأدونيس في مواضيع مثل الأنطولوجيا والتناقض والوحدة ووجود الآخر، الصيرورة وتمثيل الإنسان. ٣. محمد محمود أبو على في كتابه "ملامح الفلسفة الوجودية في شعر محمود درويش: قراءة في ضوء النقد الثقافي" (٢٠١٣) قام بدراسة أفكار درويش الوجودية. لقد درست الأبحاث السابقة مفهوم الحرية في قصائد هذين

الشاعرين بشكل منفصل أو بمقارنة مع شعراء عرب وإيرانيين آخرين، أو انتقدت أفكارهما الوجودية كلا على حدة. وقارن البعض قصائد هذين الشاعرين مركزين على مجالات منها سيميائية العنوان وأدب المقاومة والتمثيل. ولكن لم يتم العثور على بحث مستقل من شأنه أن يدرس مفهوم الحرية بناء على وجهة نظر سارتر في قصائد درويش وشاملو، ويبدو أن هذه الورقة تكون أول بحث متخصص في هذا المجال وأهم ابتكار فيه هو التركيز على آراء سارتر مؤكدا على البعد الفلسفي لمعنى الحرية.

### سارتر ونظرته إلى الحرية

جان بول سارتر من الفلاسفة الوجوديين الأكثر تأثيرا وقد تطورت فلسفة الوجودية مع سارتر ولم تقتصر على إطار الفلسفة، واكتسحت مجال الأدب والدراما والمسرح. استخدم سارتر الرواية والدراما لشرح أفكاره الفلسفية، على عكس الوجوديين السابقين، كيركجور، نيتشه، وهايدجر، الذين عبروا عن آرائهم الفلسفية فقط بمقالاتهم وكتبهم. فالمفهوم الأكثر جوهرية في نظر سارتر هو الحرية التي لها علاقة مباشرة بوجود الإنسان «فلا يوجد تمييز بين وجود الإنسان وحرية وهما متساويان، وماهية الإنسان مرتبطة بحريته، وما نسميه الحرية لا يمكن فصله عن الوجود الحقيقي للإنسان». (سارتر، ١٩٦٦: ٧٠٤؛ شارونى، د.ت: ١٣٣) إنه يقدم الحرية على الوجود قائلا «الحرية في الإنسان مسبوقة بوجوده، والأساس الإنساني خلقته الحرية». (سارتر، ١٣٨٩: ٣٩) «الحرية والوجود مفهوم واحد، والحرية هي نسيج الوجود ومبدأه، والإنسان حر بطبيعته، والحرية مصير لا مفر منه». (رشوان، ١٩٩٢: ١٠٧) بمعنى أن الإنسان في هذا العالم، حر في اختيار طريق حياته وتشكيل حياته كما يشاء. «إنه يعتبر الحرية القيمة الحقيقية الوحيدة ويعتقد أن الحرية هي أساس كل القيم والمصدر الوحيد المولدة للقيم». (سارتر، ١٣٨٦: ٣٠) هذا ما يجعل سارتر أن يعتقد في الحرية المطلقة للإنسان ف«الإنسان حر في اختيار كل شىء إلا العبودية والانعقاد ولا يمكن لأى قانون أن يمنعه من أن يكون حرا». (خفاجى، ١٩٩٥: ١٨٠-١٨١) وعليه فإن الحرية موجودة في كل حال ولا شىء يمكن أن يدمرها.

### الحرية تعنى المسؤولية الاجتماعية والالتزام

يرتبط مفهوم الحرية فى رأى سارتر ارتباطا وثيقا بالمسؤولية وهو ينقسم إلى نوعين فردية واجتماعية؛ فلا تقتصر الحرية على الفرد بل تشمل المجتمع بأسره. يعتقد سارتر أن «الفرد الانسانى يختار جميع البشر باختياره.» (سارتر، ١٣٨٠: ٣١) وهذا يدل على البعد الاجتماعى وعبر الشخصى للحرية، وأن مصير جميع البشر متشابك بعضهم فى البعض. يقول سارتر عن المسؤولية الاجتماعية الإنسانية: «أنا مسؤول عن نفسى وعن البشرية جمعاء وأخلق شكلا معيناً للبشرية كما سأكون أنا بنفسى ومن خلال تكوين نفسى، أكون الإنسانية.» (سارتر، ٢٠٠٧: ٣٠) وحرية الناس مترابطة مع بعضهم كما يقول سارتر: «الإنسان ملزم بالسعى من أجل حرية الآخرين كما يسعى من أجل حريته الخاصة لذلك لا يمكن أن تكون الحرية هدفاً محددًا للإنسان إذا لم يعتبر حرية الآخرين هدفاً مماثلاً له.» (سارتر، ١٣٨٠: ٦٨-٦٩) أى أن البشر يؤثرون على حياة الآخرين من خلال أفعالهم وهذا يضاعف مسؤوليتهم.

إن النهج الملتزم لشعر درويش يجعله يعالج أحزان شعب بلاده ويعتبر مصيرهم مصيره. وهو يحمل نفسه المسؤولية حيال جميع الفلسطينيين ويسعى من أجل حريتهم و الشاعر الذى لا يبالي بقضايا بلاده خائن للوطن فى نظره ويعتبر أن مهمة الشاعر هى التعاطف مع الفقراء: يا رفاقي الشعراء! / قصائدنا، بلا لون / بلا طعم ... بلا صوت! / إذا لم تحمل المصباح من بيت إلى بيت / وإن لم يفهم «البسطاء» معانيها / فأولى أن نُذريها / ونخلد نحن ... للصمت. (درويش، ٢٠٠٥: ٦٣/١)

يشعر شاملو أيضا بالمسؤولية أمام مجتمعه وشعب وطنه ويحاول أن يكون مع الناس الذين ترعرع بينهم. ويعتبر مهمة الشاعر التعبير عن آلام الناس العاجزين الذين انحنت ظهورهم تحت وطأة أحذية الطواغيت: هو يكتب الشعر، أى إنه يلمس جراح المدينة القديمة / هو يكتب الشعر أى إنه يصرخ بآلام مدينته ومنزله. (شاملو، ١٣٩٤: ١٤٦)

يتفق كلا الشعارين مع سارتر على التنشئة الاجتماعية للإنسان، ويعتبران التزام الأديب بالمجتمع ومعالجة مشاكل الناس بيده كمصلح اجتماعى تمهيدا لتحقيق مفهوم حرية الإنسان.

ودرويش يتحمل سنوات من السجن من أجل حرية بلاده لأنه يعتقد أن مصيره مرتبط بمصير بلاده وإنه مسؤول أمام المجتمع بقدر ما هو مسؤول تجاه نفسه. كما أن حرية بلاده هي حريته فلا ينتهك حقوق الضعفاء ويساعدهم: *أنا صَادَقْتُ أَحَدِيَّةَ الصَّبِيَّةِ الضُّعْفَاءِ / أنا قَاوَمْتُ كُلَّ عُرُوشِ القِيَاصِرَةِ الأَقْوِيَا / لم أبع مَهْرَتِي فِي مَزَادِ الشُّعَارِ المُسَاوِمِ / لم أذُق خُبْزَ نَائِمٍ / لم أَسَاوِمِ.* (درويش، ٢٠٠٥: ٣/ ٣٤٥)

كما أن شاملو لا يعتبر نفسه منفصلاً عن الناس ويتنفس في أجواءهم ويتعاطف مع الآلامهم، ولا يعتبر نفسه متفوقاً على الشعب. وهكذا يفسر الحرية: كن مع الناس، وافهم قلوبهم بقلبك واجعل قصيدتك كلمات تنبثق من قلوبهم: الشعر اليوم هو سلاح الشعب / لأن الشعراء هم أغصان من غابة الشعب / وليسوا زهرة ياسمين أو سنبل في مشتل شخص ما / شاعر اليوم ليس غافلاً عن آلام الخلق المشتركة: / هو يبتسم بشفاه الناس / يزرع آلام الناس وآلامهم في عظامه / فأنا بحثت في الشوارع والأزقة وأدركت أن كل موضوعات قصائدي تكون الناس كلهم. (شاملو، ١٤٠٢: ١٤٤)

الزعة الشعبوية وقبول المسؤولية الجماعية عند درويش وشاملو تملنان وجهة نظر سارتر الملتزمة بالأدب والمجتمع وأن حرية الإنسان تتحقق من خلال التفاعل والتفكير المتبادل والتفاهم المشترك.

يرى درويش الحرية أنها قبول للمسؤولية العامة ويعتقد أن الحرية لن تتحقق فقط من خلال صراخه وجهده، ولكن يجب على جميع الفلسطينيين الوقوف والشعور بالمسؤولية تجاه بعضهم البعض. لذا فإن إرادة الجماعة هي التي تؤدي إلى تفاهم وتعاطف واسعين: *فَمِنْ عَزْمِي / فَمِنْ عَزْمِكَ / وَمِنْ لَحْمِي / وَمِنْ لَحْمِكَ / نَعْبُدُ شَارِعَ المُسْتَقْبَلِ الصَّاعِدِ.* (درويش، ٢٠٠٥: ٧٣)

و كما رأينا في شعر درويش، يلتزم شاملو أيضاً بالمجتمع الذي تعيش فيه ويرى جميع أفراد المجتمع مرتبطين مع بعضهم. إنه يرى واجبه الرفق بأخيه الإنسان ومحسب قلبه ملاذاً لكل من عانى و تألم: *تعالوا يا أصدقائي / بآلامكم / وانفضوا عبء آلامكم في قلبي.* (شاملو، ١٣٩٤: ١٧٥)

إن تعاطف درويش وشاملو مع المجتمع والطبقة الدنيا هو انعكاس للجانب ماوراء

الشخصى للحرية من وجهة نظر سارتر التى تتطلب تحقيقها حكمة جماعية.

## الحرية والخوف

ترتبط الحرية ارتباطاً مباشراً بالخوف وعندما يتحمل المرء المسؤولية يكون المرء فى حالة من الذعر لأنه يدرك أنه وحيد فى هذا الطريق. يقول سارتر: «عندما يتحمل قائد الجيش مسؤولية الهجوم ويرسل عدداً من الأشخاص نحو الموت يقرر أن يفعل ذلك بنفسه وهو الوحيد الذى يصنع القرار. مثل هذا القائد لا يمكن أن لا يشعر بالقلق.» (سارتر، ١٩٧٣: ٣٢) يظهر هذا القلق للفرد أنه حر ويجب أن يغير الحالة الأولية والبدائية لماهيته. يجب على الشخص الذى يقبل المسؤولية أن يقاوم الصعوبات ولا يقنع نفسه بأنه لا يمكن أن يكون حراً ويتحمل المسؤولية. وفقاً لسارتر، الخوف لا يتعارض مع حرية الإنسان واراادته فهو يقول: «القلق ليس عقبة أمام العمل وصنع القرار بل على العكس إنه شرط ضرورى للعمل.» (سارتر، ١٣٨٠: ٣٧) يمكن إطلاق صفة الحر على الشخص اذا تغلب على هذا الخوف ولم يخدع نفسه أو لم يقل إنه لا يستطيع فعل أى شىء لتغيير حياته. يوضح سارتر فى رواية "عصر العقل" (Age of Reason) من خلال شخصية بوريس نتيجة الهروب من الخوف: «كان بوريس دائماً خائفاً من التعرض للسخرية؛ لم يكن يريد أن يخدع نفسه فيفضل عدم قول أى شىء ويتركهم يعتقدون أنه ليس لديه فكرة. فهو كان يرى هذه الطريقة أكثر قبولاً لطبيعته.» (١٩٦٠: ١٦٢) نتيجة هذا الخوف هى الافتقار إلى الحرية وعدم النمو، لذلك يجب على المرء ألا يخدع نفسه ولا يتحدث عن عدم القدرة على الكلام.

يعتقد درويش أن للإنسان الحق فى الاختيار ويمكنه أن يعيش حياة راكدة طبيعية رتيبة مع الخوف ويمكن يجعل نفسه عرضة للقدر أو يهزم هذا الخوف ويواجه بنفسه عاصفة أحداث الحياة ليغير ما هو عليه. بالنظر إلى روحه الإنسانية والملحمية فهو لا يخاف من الخطر ويفضل متعة تحقيق الحرية مع الخوف على القدرية: أختارُ يا ابنَ الله... أى سَبِيلٍ؟ / أأَكْفُرُ بِالْخِلَاصِ الْحَلْوِ / أمْ أَمْشِي؟ وَلوْ أَمْشِي وَأَحْتَضِرُ؟ / أقولُ لكم: أَمَاماً أَيُّهَا البَشَرُ! (درويش، ٢٠٠٥: ١/١٦٦)

اما شاملو بسبب هيمنة الروح الملحمية، يعتبر الإنسان حراً في أن يتهرب من المسؤولية ويقنع نفسه بأنه لا يستطيع اختيار مسار حياته بإرادته الحرة فيقتنع بماهية محددة سلفاً أو يمكنه التغلب على قلقه واختيار طريق خطير يمنحه مجد الحرية: يمكن قيادة السفينة على البحر بأى شكل من الأشكال / يمكنك قيادة قارب في حالة سكر برفقة حبيب في عزلة البحر الهادئة / تحت نظرات القمر ومع أغنية الملاح يمكن عزف السيتار (سه تار) و تقبيل شفة / ولكن في تلك الليلة أيضاً ينهض الصياد البطل / الذى يرفع شراعه تحت عيون العاصفة / على منحدر الهاوية المظلمة من أمواج البحر المخيفة / لإخراج ولادة الحياة و نهرها من فم الموت. (شاملو، ٢٠١٥: ١٦٩)

هذه الروح الملحمية لدرويش وشاملو هي انعكاس واضح للروح المتمردة لسارتر الذى يرى الحرية مظهراً للتغلب على الخوف والتحرك نحو مجهولات عالم مفتوح لا نهاية له.

امتزجت العاطفة الملحمية بروح درويش، وهو ينطلق من أجل الحرية فى طريق خطير يخلق خوفاً كبيراً فى وجود كل إنسان لكن روحه المتمردة تدرك قيمة الحرية وتتغلب على القلق ولا تتهرب من المسؤولية التى يتحملها وتشرع فى خوض مغامرة كبيرة: عَلَى أَنْ أُنْسَى لِأَنْفَضَ عَنْ يَدِي سَلْسَلَ الطُّرُقِ الْكَثِيرَةَ / وَعَلَى أَنْ أُنْسَى هَزَائِمِي الْأَخِيرَةَ كَى أَرَى أَفُقَ الْبِدَايَةِ. (درويش، ٢٠٠٥: ٣ / ٩٥)

يرى شاملو الحرية أنها هى الشجاعة فى مواجهة العالم الخارجى والحرية فى رأيه هى القتال ببسالة فى ساحة الوجود. والإنسان الذى يقصده شاملو هو شخص يختار ويسهّل الطرق الوعرة لإرضاء روحه المغامرة والمتلهفة: جلس رجل من خوف رياح الأحداث / انطلق رجل من صاعقة الأحداث / هذا اختار العار واتخذة درعاً / وذاك أسرع نحو الشرف بدون درع. (شاملو، ٢٠١٥: ٣١٩)

هذه النظرة المشتركة فى شعر درويش وشاملو حول الحرية المحفوفة بالمخاطر مظهر من مظاهر تأكيد سارتر على تقدم الوجود الإنسانى وتغيير الماهية البشرية طوال الحياة وأن الإنسان هو صانعه الفريد.

من يصبح مسؤولاً عن حرية الآخرين فهو يواجه الخوف؛ يعتقد درويش أن الطريق

إلى الحرية هو اجتياز الخوف وتحمل أعباء المسؤولية. وهو يعتقد أن حريته وحرية الفلسطينيين تعتمد على مقاومة الظروف الصعبة التي فرضها العدو عليهم: ألو ... أريد مُحَمَّدَ الْعَرَبِ / نَعَمْ! مَنْ أَنْتَ؟ / سَجِينٌ فِي بِلَادِي / بِلَا أَرْضٍ / بِلَا عِلْمٍ / بِلَا بَيْتٍ / رَمَوْا أَهْلِي إِلَى الْمَنْفَى / وَجَاؤُوا يَشْتَرُونَ النَّارَ مِنْ صَوْتِي / لِأَخْرَجَ مِنْ ظُلَامِ السِّجْنِ ... / مَا أَفْعَلُ؟ / -تَحَدَّ السِّجْنَ وَالسَّجَانَ / فَإِنْ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ / تُذِيبُ مَرَارَةَ الْحَنْظَلِ!.

(درويش، ٢٠٠٥: ١/١٦٦)

شاملو يمتلك شخصية متمردة وشجاعة ومغامرة لا يخاف من السجن والتعذيب ويتحمل مصاعب الحياة من أجل تقرير مصيرها وتحقيق مجد الفردية فثبت أنه موجود في هذا العالم، ومن خلال اجتياز العقبات والتغلب على الخوف من المسؤولية يحقق الحرية فيستحق التبجيل: والآن أنا الذي اجتزت كل تحيراتي وصولاً إلى قمة جُل جتا هذه / الآن أنا الذي قد خلعت مسمار الصليب من راحة يدي بأسناني / والآن أنا من يدوس برجله الصليب المقلوب واقفا مرفوع القامة كارتفاع الصراخ. (شاملو، ١٣٩٤: ٤١)

هذه الفردية واحترام الذات لدى درويش وشاملو هي مظهر من مظاهر أصالة الوجود التي يؤكد عليها سارتر ويعتقد أن حرية الإنسان تعتمد على منحه وجوداً مستقلاً وديناميكياً ينبعث من قدرته على السير في طريق الكشف والمغامرة.

### الحرية: عدم الإيمان بالقوى الميتافيزيقية

ينكر سارتر وجود الله ويعتبره انتهاكاً للوجود الإنساني ويقول عن هذا: «لا أستطيع أن ألبأ إلى الله كأساس للحق والفضيلة لأن الله، وفقاً لقول نيتشه، قد مات. ألاحظ أنني المصدر الوحيد لأي معنى أو حقيقة أو قيمة يمتلكها عالمي.» (سارتر، ٢٠٠٧: ٤٣) يرى سارتر أن الإنسان هو سيد مصيره ولم يخلقه أى خالق. يقول في مسرحيته الشيطان والله: "الإنسان وحده هو منبع المعجزات. لا يوجد أحد سواي وأنا أقرر أن أفعل شيئاً سيئاً أو أن أكون مصدر الخير. أنا من أتهم نفسي وأنا الوحيد الذي يغفر لنفسى. أنا إنسان وإذا كان الله موجوداً فإن الإنسان لا يساوى شيئاً". هذا النوع من التفكير يجعل الناس يعتمدون على البشر وقدراتهم وحقهم في الاختيار بدلاً من الإيمان بالميتافيزيقا

وخلق الملاحم. «بناءً على فكرة سارتر، لم يتغير شيء حتى بافتراض وجود واجب الوجود. يقول: "الوجودية تؤمن بأن البشرية محكوم عليها بخلق الإنسانية في أي لحظة دون أي دعم وبدون أي مساعدة."» (سارتر، ٢٠١٠: ٤١) أي أن الإنسان لا يستطيع التغلب على مشاكله بالقوى الغيبية بل يجب عليه الاعتماد على جهوده الخاصة.

رغم أن درويش ليس شاعراً دينياً لكن إلهاد سارتر وجراته لا يظهران في فكره فيما يتعلق بالإيمان بالله لكنه بسبب معاناة التشرد و احتلال فلسطين، في وقت ما، يشعر بالحزن والغضب واليأس من أي قوة خارقة للطبيعة ويعتقد أن سر الانتصار هو الاعتماد على نفسه فقط و يفضل القوة البشرية على مساعدة الغيب ويعتبر الحرية نفيًا للإيمان بمساعدة قوة غيبية: نَحْنُ لِلنِّسْيَانِ قَدْ جِئْنَا تَقْدِيمَ الْمَدَائِحِ / لِإِلَهِ فَرٌّ مِنْ حَيْمِنَنَا / وَاخْتَفَى حِينَ خَرَجْنَا نَجْمَعُ الصَّيْدَ لَهُ. (درويش، ٢٠٠٥: ٣ / ٢٦)

يعيش شاملو في ظروف سياسية واجتماعية صعبة ، والاستبداد يؤدي روحه الثائرة، وبسبب الاختناق وانعدام الحرية فهو غاضب ويعتبر أي قوة غير الإنسان أسطورة. في تفكير شاملو كل الأشياء تتمحور حول الإنسان وكل تغيير يتم بواسطته وليس بواسطة قوى غيبية: أليس الإنسان معجزة؟ / إنسان .. الشيطان الذي أسقط الله وَسَجَنَ الدُّنْيَا وَحَطَمَ السَّجُونَ! مَزَقَ الْجِبَالَ، وَكَسَرَ الْبَحَارَ، وَشَرَبَ النِّيرَانَ وَحَوَّلَ الْمِيَاهَ إِلَى رَمَادٍ. (شاملو، ٢٠١٤: ٢٧٣)

إن إيمان درويش وشاملو المشترك بإنكار الأساطير وعدم الإيمان بالقوى خارج كوكب الأرض هو انعكاس لتفكير سارتر الإلهادي وإنكاره لواجب الوجود ولكن صراحة كلام شاملو في هذا السياق أقرب كثيراً إلى جرأة سارتر.

في قصائده الملحمية ينتقد درويش أولئك الذين وقعوا في أسر الحتمية وبدلاً من الاعتماد على إرادتهم اعتمدوا على مساعدة خارقة للطبيعة ودعوات من أجل الحرية. وهو يسخر من الخيال البعيد لبعض أبناء وطنه ويعتبر أنه من خداع الذات الأمل في قوة أخرى غير الإرادة البشرية: هذه أصنامكم فَتَعْبُدُوهَا مِثْلَمَا سِتُّمْ. كُلُوا التَّمْرَ. كُلُوا أَسْمَاءَنَا. (درويش، ٢٠٠٥: ٢٨/٣)

إن مقارنة شاملو الواقعية للوضع السياسي والاجتماعي تجعله يكره الأسطورية

ويعتبرها عدوًّا لاستقلاله الوجودي. من وجهة نظره، الإنسان المعاصر هو رب حياته، وكل ما يحدث له هو نتيجة اختياره وإرادته الحرة: آه / هؤلاء الناس يبحثون عن الحقيقة في الأساطير فقط / أو لا يعتبرون الحقيقة إلا نوعاً من الأسطورة / ونارى لم تشتعل فيهم / لأننى قلت آخر كلمة عن السماء / دون أن أذكر اسم السماء بنفسى. (شاملو، ٢٠١٤: ٥٨٧)

إن إجماع درويش وشاملو على أن الإنسان هو الخالق والبانى الوحيد لذاته هو مظهر واضح من مظاهر تأليه سارتر للإنسان الذى يعتقد أن وجود الإنسان وإرادته مستقلان وخاليان من أى اعتماد على إرادة الله.

بعد حرب الأيام الستة بين إسرائيل والعرب، طغى اليأس على فلسطين وشعراء المقاومة لفترة من الزمن، وبعد مصالحة بعض الدول العربية مع إسرائيل، شعر الفلسطينيون بالوحدة أكثر، واستنتجوا هم ودرويش أن بلادهم تركت وحيدة فى هذا العالم كما نسيهم الله و فقط إرادة الفلسطينيين يمكن أن ينقذهم: نامى .... عُيُونُ اللَّهِ نَائِمَةٌ / عَنَا، / وَأَسْرَابُ الشَّحَارِيرِ / وَضَمَادُ جُرْحِكِ زَهْرَةٌ ذَبَلَتْ! / فِي السَّفْحِ مَهْجُورِ / لَكِنَّ عَيْنَ أَخِيكَ سَاهِرَةٌ / خَلْفَ الضَّبَابِ، وَوَحْشَةَ السُّورِ / وَفُؤَادَهُ مُلْقَى عَلَى جَسَدِ. (درويش، ٢٠٠٥: ٣٣ / ١)

وفقاً لشاملو، الإنسان هو حاكم العالم وينتصر على الجميع بقوته ولامعنى للقوة غير الإنسان سواء كانت أرضية أو سماوية. ويذكرنا تأليه شاملو البشر بأفكار سارتر الإلحادية التى تعتبر الإنسان إله هذا العالم: فى الشارع / و على ظهر عربة سيجار / كتب شاعر أستاذ هذه الملحمة بدافع من اللحظة: / الإنسان هو الله / هذا ما أقوله / إذا كان هذا تجديفاً أو حقاً خالصاً فإن الإنسان هو الله. (شاملو، ٢٠١٤: ٤٢٨)

إن النزعة المادية لدرويش وشاملو تجاه القيمة الوجودية للإنسان وحقه فى الاختيار والحرية متجذرة فى عقلانية سارتر وتأكيده على الأحاسيس والعواطف الإنسانية التى تعتبر حقيقة العالم مقصورة على الأشياء التى يتم القيام بها من قبل البشر، والإرادة الإلهية والحكمة فيه ينفى تحديد مصير الإنسان.

## الحرية: الانتقال من الوجود إلى الصيرورة

يعتقد سارتر أن ماهية الانسان قابلة للتغيير وانسيابية فيقول "الإنسان موجود أولاً، إنه موجود في هذا العالم، ويواجه نفسه وهو ما يخلقه بنفسه، ولديه إمكانية أن يصير (صيرورة)، إن الإنسان ليس سوى سلسلة من الإجراءات، أو جهاز، أو مجموعة العلاقات التي تخلق هذه الأفعال. (سارتر، ١٩٧٣: ٤٢) أى أن الإنسان يشكل الخميرة التي يريدها بالعمل والجهد المستمرين وينتقل من حالة ثابتة إلى حالة امتياز. يقول سارتر عن دور الإنسان في تشكيل حياته: «الإنسان ليس سوى خطته. لا وجود للإنسان إلا بالقدر الذي يحقق فيه خطته.» (سارتر، ٢٠١٨: ٥١) هذا التخطيط يجعل الإنسان يجتهد من أجل ازدهار مواهبه ويتجنب الكسل ويلقى بنفسه في الطريق الخطير. «الحقيقة تقوم على تحول الإنسان والعالم، والإنسان يوجهها ويخلقها بأفعالها.» (سارتر، ٢٠١٠: ١٢) يقول سارتر في كتاب الذباب: «لا أريد أن أتبع أسلوباً آخر غير طريقى ويجب على كل شخص أن يبتكر أسلوبه الخاص.» (سارتر، ١٣٥٣: ١٢٧) لذلك لا يؤمن الإنسان الحر بماهية محددة سلفاً ويصنع مستقبله بمشاريعه وخطته الجديدة.

وفقاً لدرويش، يمكن لأى شخص أن يتذوق طعم الحرية من خلال المحاولة والمخاطرة باستمرار ويجب أن يعرف أنه وحده في هذا الطريق ومقاومته وإرادته سوف تنقذه من الأسر. لذلك على المرء أن يتقدم باستمرار ويتحمل المصاعب: إِنْتِي مَدُونُ جُرْحٍ لَا يَسَاوِمُ / عَلَّمْتِنِي ضَرْبَةَ الْجِلَادِ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى جُرْحِي / وَأَمْشِي ... ثُمَّ أَمْشِي / وَأَقَاوِمُ!. (درويش، ٢٠٠٥: ٢١٩/١)

شاملو هو الفارس الذي يدعو فى العصر الجديد إلى وحدة وعظمة الإنسان ويلخص الإنسانية فى العمل والديناميكية. يجب على الرجل الحر من وجهة نظره أن يركب الخطر وليس الاعتماد على الأمن المتكرر لأن الطبيعة البشرية يجب أن تمضى قدماً: أنت تختار عيش الراحة والامن ولكنى سأواجه الموقف / خذ مكاناً آمناً / وانا سأسلك طريق الخطر!. (شاملو، ١٣٩٤: ٦٩٠)

الحركة المستمرة فى مسار التميز لدى درويش وشاملو تنبعث من فكرة سارتر عن تقدم الوجود على الماهية والتي تنسب المرونة والتحول إلى الماهية ولا تعتبرها عملية

تلقائية تتم برمجتها من قبل شخص بل استقلال الوجود الإنساني يلهم له أن يشكل كيانه الخاص بحرية كما يشاء.

و درويش لديه إرادة فولاذية، وهو يعتبر الإنسان مركز كل التفاعلات في العالم. من وجهة نظره، الإنسان هو سيد نفسه ويبنى نفسه ومستقبله بقدراته. ومفتاح النصر والحرية هو الخروج من حالة الوجود الى الصيرورة، وهذا يتوقف على نسيان الماضي والتخطيط للمستقبل: صَنَعْتُ الْوَهْتِي / بِيَدِي، آلهَةُ الْقَطِيعِ مُزَيَّفَةٌ. / السِّرُّ فِي الْإِنْسَانِ، / وَالْإِنْسَانُ سَيِّدُ نَفْسِهِ وَسَيِّدُ نَفْسِهِ وَسُؤَالِهِ / لَا عِلْمَ إِلَّا مَا يَرَاهُ الْآنَ، / وَالْمَاضِي دُمُوعٌ مُتْرَفَةٌ. (درويش، ٢٠٠٥: ٣ / ٧٦)

يعتبر شاملو ماهيته ظاهرة ديناميكية وسلسلة تنمو، وهو إنسان يسعى إلى تطور كيانه ويتجنب التوقف في الماضي ويسعى إلى شكله النهائي في المستقبل ويستكشف الكرامة في تحديث كيانه: أليس / لا أحد / هل كان كافياً أن أصبح قدرى؟ / أنا / صرخت فقط / لا! / تعبت من الغرق / أصبحت صامتاً / كنت صوتاً / - شكلاً بين الأشكال - / ووجدت معنى. / لقد نشأت / وأصبحت / ليس مثل برعم / زهرة / أو جذر / أو مثل برعم / أو بذرة / أو مثل غابة- / بل حقيقياً / مثل رجل عادي / شهيد / حتى تصلى له السماء. (شاملو، ١٣٩٤: ٧٢٨)

هذه النظرة المشتركة لدى درويش وشاملو بأن الإنسان يكتسب حريته على أساس تحوله الخاص هي مثال واضح على تأكيد سارتر على المستقبلية والمثالية التي تجعل الإنسان يسعى جاهدا لاستخدام موارده الخاصة.

### حرية التمرد على الوضع الراهن

سارتر ليس غافلا عن تأثير العوامل البيئية على صنع الإنسان ويعتبر الإنسان نتاج العالم من حوله فيقول: «الانسان قبل أن يكون كائنا يصنع نفسه، هو كائن من صنع الطقس والأرض والعرق والطبقة والوقت والتاريخ والمجتمع الذي هو جزء منه.» (سارتر، ١٩٧٧: ٤٤١) لكن هذا لا يتعارض ولا ينتهك حرية الإنسان. الحرية من وجهة نظر سارتر يعنى عدم الاستسلام للظروف الحالية. «ينتقد سارتر فكرة أننا غير قادرين

على تغيير وضعنا الراهن وطبقتنا الاجتماعية وأمتنا وعائلتنا وأنه ليس لدينا حرية في اكتساب القوة والثروة وأنا لا نستطيع السيطرة على شهواتنا ورغباتنا ويعتبرها فشلاً كبيراً.» (سارتر، ١٩٦٦: ٦١٤) إنه يعتقد أن الماهية البشرية ليست محددة سلفاً وأن الإنسان لديه القدرة على تغيير ظروفه الحالية. يقول سارتر عن دور الإنسان في تغيير بيئته: «الإنسان هو الذى يعطى معنى لبيئته سواء أصبحت البيئة عاملاً مدمراً أو مساعداً، فإن ذلك يعتمد على اختيار خطى.» (سارتر، ١٩٧٧: ٥٠٩) وعليه فالحرية انتفاضة للوصول الى التحول وتغيير الوضع الراهن وتحقيق التميز فى المستقبل.

ويرى درويش الحرية على أنها انتفاضة ضد الوضع الراهن وينتقد الفيلسوفين الذين هم على استعداد لتقديم تنازلات. إنه يوبخ المؤمن بمصير محدد سلفاً ويذكره بحق الإنسان فى اختيار أن الطبيعة البشرية تتغير بإرادته. لذلك الحرية لا تتحقق بالركود واليأس ولكن عليك أن تتمرد على كل ما هو موجود: إِنَّا حَمَلْنَا الْحُزْنَ أَعْوَاماً وَمَا طَلَعِ الصَّبَاحُ / وَالْحُزْنَ نَارُ تُحْمَدُ الْأَيَّامُ شَهْوَتَهَا / وَتُوقِظُهَا الرِّيحُ / وَالرِّيحُ عِنْدَكَ، كَيْفَ تُلْجِمُهَا؟ / وَمَا لَكَ مِنْ سِلَاحٍ / إِلَّا لِقَاءُ الرِّيحِ وَالنِّيرانِ. (درويش، ٢٠٠٥: ٦٨ / ١)

إن روح شاملو التى لا تقهر تبحث عن الحرية فى الحركة والتمرد وتعتبر الخضوع مصدر خزي الإنسان و ترى تمزيق ستار الصمت والكسل والمصالحة دليلاً على حرية الإنسان، وهو بنبرة ساخرة يحث الناس المحاصرين فى قبضة الاستبداد واليأس على التمرد فى وجه هذا الوضع البائس: أينما يختبئ الخوف والجشع والرقص / أينما يوجد الموت / أينما يعانى الإنسان ليل نهار / أينما يصرخ الحظ الثائر / أينما يتحول الألم نحو الإنسان / أينما تتحدى الحياة شخصاً حياً للقتال / أخرج من الغمد / نصلاً ذا حدين / قد صنع من قوتك وضعفك!. (شاملو، ١٣٩٤: ١٥١)

إن موقف درويش وشاملو الملحمى ورؤيتهما المشتركة حول ضرورة إيقاظ الناس وعملهم للمطالبة بحقوقهم هو مظهر من مظاهر فكرة سارتر التى يعتبر الإنسان مخلوقاً يهرب من الركود، ونظرته إلى الأمام تجعله يكسر باستمرار كل الأعراف من أجل تغيير وضعه الحالى.

من وجهة نظر درويش، ليس للإنسان دور أو سلطة فى اختيار أن يكون أباً أو فقيراً

أو مولودا غنيا ولكن يمكنه تغيير ظروفه الحالية وتوزيع نفسه ورفع مكانته. إنه حر لأن له الحق في الاختيار وهذه هي الفردية وأصالة الوجود: لا شأن لي في أصل أمي / سيان، إن كانت أميرة / أو فقيرة. / أنا واحد / أحد / ملك. (درويش، ٢٠٠٥: ١ / ٧٨)

اما السممة المميزة لشاملو هي التمرد فهو لا يؤمن بذاتية مسبقة الصنع بل ينكر أن يرث الانسان السلوك البشرى من أسلافه. إنه يتخلص من كل الأمور الساكنة ويرى ماهيته كعنصر ديناميكي لا يتم نسخه من خصائص الماضي: لأنى أكره كل ما معكم ، وكل ما كان مرتبطاً بكم / من أطفالى و من والدى / من أحضانكم ذات الرائحة الكريهة / و من أيديكم التى قد صافحت يدي مرارا لغرض الخداع / من غضبكم ولطفكم / و من جسدى الذى ورث تشابها من أجسادكم من دون إرادتى. (شاملو، ٢٠١٤: ٣٠٥)

إن هذا النهج الملحمى والنقدى لدرويش وشاملو تجاه الوضع القائم وتجنبيهما الحتمية تقترب من نظرة سارتر في عدم إيمانه بالطبيعة الثابتة وهو يعتبر الإيمان باستقرار الطبيعة البشرية انتهاكاً لحرية وحقه في الاختيار، و في هذه الحالة تكون لغة شاملو أكثر حدة وصراحة من لغة درويش وترتبط بالفردانية والزرجسية.

### الحرية تعنى الموت و العدم

بالنسبة لسارتر الموت هو الموضوع الذى يقود الإنسان إلى استنتاج مفاده أنه كائن حر. ويقول عن العلاقة بين الموت والحرية: «هنا يحيط العدم بالكون بشكل واسع و ذلك فى لحظة من الوجود، والعدم يشبه شيئاً جاء من خارج العالم.» (سارتر، ١٩٦٦: ٢٢).

التفكير فى الموت يجعل الإنسان يعرف أنه ليس لديه متسع من الوقت فى هذا العالم، أنه حر فى تجريب طرق مختلفة للوصول إلى أهدافه حتى تأتى وفاته. يعتقد سارتر أن موت الإنسان هو عودته إلى الماضى ويقول: «وقت الموت، تفكر بما كنا عليه منذ البداية لكن لم تعد لدينا الفرصة لنصبح ما ينبغى أن نكون.» (سارتر، ١٣٨٩: ١٤٠)

عقلية الموت هذه تخلق نوعاً من الخوف فى الشخص حتى يقدر اللحظات والفرص وتصبح حياته هادفة. يعتقد سارتر أنه «كلما كانت الحياة أكثر عبثية أصبح الموت لا

يطاق.» (سارتر، ٢٠١٠: ٨٨) لذا فإن فكرة العدم تجعل مفهوم الحياة ذا معنى وقيما بالنسبة للإنسان ويحثه على بذل الجهود.

درويش شاعر ملحمي لا يخاف الموت لأسباب دنيوية لكنه يعرف أن الحياة قصيرة وأن الإنسان حر ويختار ما دام يعيش في هذا العالم فخوفه من الموت لا يسبب له العزلة واليأس بل يعزز إيمانه بأنه حر وأن هناك خيارات وطرق مختلفة له الحق في اختيار أحدها لتقرير حياته ومصيره ومستقبله، لأنه لا خيار بعد الموت وبالتالي ليست هناك حرية: كَانَ عُمراً قَصِيْراً / وَ مَوْتاً طَوِيْلاً / وَأَقْفْتُ قَلِيْلاً / وَكَتَبْتُ إِسْمَ أَرْضِيْ عَلى جُثَّتِيْ / وَعَلى بُنْدُقيَّةِ / قُلْتُ: هَذَا سَبِيْلِيْ / وَهَذَا دَلِيْلِيْ / إِلَى الْمَدْنِ السَّاحِلِيَّةِ. (درويش، ٢٠٠٥: ٢ / ٣٦)

شاملو هو أيضا شاعر ملحمي والموت في معجمه لا تفوح منه رائحة الخوف، بل هو مفهوم مولد يعطى معنى للحياة البشرية ويشرح مفهوم الحرية. وهو يعتبر الحياة بمثابة لحظة يجب أن يستكشفها بوعي ويصل إلى ما يريد فالحياة في نظره: بَحْثٌ / وَإِيْجَادٌ / ثم اختيار ما تريد / وأن تلقى من عاتق نفسك الأعباء والاحمال - / فإذا كان الموت أكثر قيمة من كل هذا. هيهات أن أخاف الموت أبداً. (شاملو، ٢٠١٤: ٤٦٠)

إن نظرة درويش وشاملو الإيجابية والعقلانية للموت وعلاقته بمفهوم الحرية هي انعكاس لوجهة نظر سارتر بأن الموت وما ينتج عنه من خوف هو سبب وعي الإنسان بوجوده المستقل مما يؤدي إلى فهم واقعي للحياة والعالم من حوله واستخدام الإمكانيات المتاحة قدر الإمكان لتفجير الطاقة الكامنة في طبيعته.

بسبب الخوف من الموت، يدرك درويش أنه تُرك وحيداً في هذا العالم لاختيار الخيارات المتاحة ليعبر إلى مستقبل توجد فيه أية احتمالات. إنه يعلم أن فرصته في هذا العالم محدودة لذلك يجب عليه أن يختار في زمن حياته ويلبى رغباته وإلا فإنه سيفضل الموت على الحياة التي ليس لديه فيها إرادة أو خيار: يَحْيَلُ لِيْ أَنْ عُمْرِيْ قَصِيْرٌ / وَأَنْسَى عَلى الأَرْضِ رَائِحٌ / وَلَوْ بَقِيْتُ فِي دَمِيْ / نَبْضَةً وَاحِدَةً / تُعِيدُ الْحَيَاةَ إِلَى / لَوْ أَنِّيْ أَفَارِقُ شَوْقَ مَسَالِكِنَا الصَّاعِدَةِ / لَقُلْتُ: أَدْفُنُونِيْ حَالاً / أَنَا تَوَأْمُ الْقِمَّةِ الْمَارِدَةِ.

كما يعتبر شاملو الموت بلورة للحرية وهو موت يظهر أن للإنسان إرادة وسلطة تفصله عن ماهيته الثابتة. إنه يرى الحياة بدون اختيار واع كأسرٍ مهين وفيرى الموت معنى للحياة البشرية ودليلاً على الحرية: وعندما تجدف الطيور المهاجرة في البحيرة القمرية/ يا للسعادة أن تغادر و تتعد/ نوم آخر بمستنقع آخر! / يا للسعادة أن تطير، أن تتخلص / يا للسعادة أن تموت حرًا حتى لو لم تعيش حرًا. (شاملو ، ٢٠١٥: ٥٤٥)

إن الظروف الاجتماعية والاختناق السياسى السائد فى المجتمعين الفلسطينى والإيرانى تجعل فكرة الموت لدى درويش وشاملو رمزا للمقاومة وطريقا مؤديا إلى الحرية الوجودية للإنسان، وتجعلهما يتفقان مع سارتر فى أن العالم ليس مكانا للجبناء وأن البصيرة الناتجة عن الخوف من الموت تدفع الانسان إلى القيام بالاعمال و بذل الجهود والاختيار بحرية.

## النتيجة

### بناء على ما توصل اليه البحث

ينظر درويش وشاملو إلى الحرية بنهج فلسفى وكلاهما يعبران عن أفكار سارتر الوجودية بلغة الشعر. يعكس الموقف الإنسانى لدرويش وشاملو آراء سارتر حول الالتزام والمسؤولية الاجتماعية وتقدم الوجود على الماهية وتحول الماهية البشرية وأصالة الوجود ونفى القوى الغيبية والتخطيط ومحاولة من أجل التطور، والخوف والتفكير فى الموت والاستبصار. تجلت مظاهر حرية سارتر بشكل كامل فى قصائد كلا الشعاعين لكن نهج شاملو يأتى أكثر وضوحا وصراحة فى إبراز بعض المكونات الوجودية لمفهوم الحرية ويبدو أقرب إلى أفكار سارتر. على سبيل المثال فيما يتعلق بعلاقة الحرية بنفى القوى الخارقة للطبيعة ، فإن شاملو يظهر أكثر جرأة، ومثل سارتر، ينكر وجود واجب الوجود ويعتبر الإنسان خالق نفسه. كما أنه فى تبين العلاقة بين الحرية والتمرد على الوضع الراهن نجد شاملو أكثر حدة وصرامة فى التعبير عن مواقفه حول تقدم الوجود البشرى على ماهيته ونفى الحتمية والإيمان بالماهية المحددة مسبقا. إن الظروف الاجتماعية السيئة للفلسطينيين بعد الاحتلال والقمع الصهيونى، والتهجير

والنفى والفقر الاقتصادي والفكرى والاستبداد الداخلى فى إيران فى عهد بهلوى كلها أسباب تعزز الرغبة فى الحرية لدى درويش وشاملو وتجعل النهج الملحمى يسيطر على قصائدهما وتضع الانسان فى مركز كل الشؤون حيث يأخذ الشاعران مفهوم الحرية إلى ما هو أبعد من مستوى الحقوق الفردية والاجتماعية ويعتبرانها سبباً للتمييز البشرى. إن تجربة السجن والتعذيب والمقاومة و معارضة الظلم تلهم درويش وشاملو أن الإنسان هو مركز كل الشؤون وأن الحرية لا تتحقق إلا ببيديه ولا يولد أى إنسان أسيراً أو عبداً وهو الذى يصنع مصيره ويفجر الطاقات الكامنة فى وجوده.

## منابع

### العربية

- الخفاجى، محمد عبدالمنعم. (١٩٩٥م). مدارس النقد الأدبى الحديث. ط ١. لامك: الدار المصرية واللبنانية.
- درويش، محمود، الديوان. (٢٠٠٥م). الأعمال الأولى. ج ٤. ط ١. بيروت: رياض الرئيس للكتب والنشر.
- رشوان، محمد مهران. (١٩٩٢م). مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة. الفجالة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- سارتر، ژان پل. (١٣٨٠ش). اگزیستانسیالیسم و اصالت بشر. ترجمه مصطفى رحیمی. تهران: قطره.
- \_\_\_\_\_ . (١٣٤٨ش). اگزیستانسیالیسم یا مکتب انسانیت. ترجمه حسینقلی جواهرچی. ج ٣. تهران: مؤسسه مطبوعاتی فرخى.
- \_\_\_\_\_ . (١٣٨٦ش). بازیسین گفتگو. ترجمه جلال ستارى. تهران: نشر مرکز.
- \_\_\_\_\_ . (١٣٧٨ش). روانکاوى وجودى. ترجمه احمد اسعدى نژاد. تهران: جامى.
- \_\_\_\_\_ . (١٩٦٠م). سن الرشد. ترجمه سهیل ادریس. ط ١. بيروت: دار الأدب.
- \_\_\_\_\_ . (١٣٥٣ش). مگس ها. ترجمه سيما گویان. ج ١. لامک: مازيار.
- \_\_\_\_\_ . (١٣٨٩ش). هستى و نیستى. ترجمه عنایت الله شکيبا پور. تهران: دنياى کتاب.
- \_\_\_\_\_ . (١٩٦٦م). الوجود والعدم، عبدالرحمن بدوى. بيروت: منشورات دار الأدب.

### الفارسية

- شارونى، حبيب. (د. ت). فلسفة جون بل سارتر. الاسكندرية: منشأ المعارف.
- شاملو، احمد. (١٣٩٤ش). مجموعه آثار احمد شاملو (دفتر يكم). ج ١٢. تهران: نگاه.
- كامل، فؤاد. (١٩٩٣م). أعلام الفكر الفلسفى المعاصر. ط ١. بيروت: دار الجليل.

نوالی، محمد. (۱۳۷۳ش). فلسفه‌های اگزیستانست و اگزیستانسیالیسم تطبیقی. ج ۱. تبریز: دانشگاه تبریز.

### الانجليزية

Sartre, Jean Paul. (1973). Existentialism & humanism. EVRE METHVEN LTD. London.

\_\_\_\_\_. (1977). Being & Nothingness, An Essay on Phenomenological Ontology, Tr. by Hazel E. Barnes, Newjersy: Citadel press.

\_\_\_\_\_. (1966). Being and Nothingness. Translated by Hazel E. Barnes, University of Colorado.

\_\_\_\_\_. (2007). Existentialism is a Humanism. Translated by Card Macomber, Yale University Press.

